

السياسة تحصد ما تزرعه

مسميات بحجة رفض التشهير ببناء الدولة وتسيير قطارها. مع قرب تشكيل الحكومة هذا الرفض للواقع المرزى يعمل على زرع الفتنة والعداوة بين الشعب الكثير من الذين قريباً بحسب الكثير من المرجعات الدينية بكافة أطرافها وموازينها، لم يعد لها وزن ولا شخصية مستقلة بسبب مغاللتها للحكومات الفاشلة المتعاقبة زوراً وبهتاناً بحجة الطاعة لولي الأمر. فمثل هذا المفهوم الخانع للحاكم الضال لم يعد صالحاً في بلد عانى من تجاوزات لا حصر لها على حساب حقوق الشعب والمواطن، بلد فقد بركات رافدين ازليين كانا بزخران الفاشلة المتعاقبة زوراً وبهتاناً باطبيب مياه الكون. أما محاولات الحكومة المنتهية ولايتها، الترقيبية الأخيرة من دون توفيقها بإجراء إصلاحات جذرية في العملية السياسية وفي إدارة البلاد وبالضغط على المؤسسة التشريعية بإعادة كتابة الدستور، فهي لم تعد اليوم ناعمة هي الأخرى، وما هي مثل هذه المساعي الخائبة سوى ذر الرماد في العيون ومحاولة لاسترضاء الشعب المنحطف والمتصاص غضبه بعد ان مل الهمز وكرك الردود الخائبة. فقد كانت السنوات الأربع المنصرمة فرصة لإثبات الجدارة والنخوة الوطنية والحرص بالقضاء على الفساد ومحاسبة الفاسدين وفضح أعمالهم الشائنة. لكنها ظلت ساكنة أو خجولة أو مترقبة لسلك المؤسسة التشريعية التي حرصت كل الحرص لتعزيز مكاسبها ومصالحها على حساب الشعب الفاعل الجائع القريب. وحين لا تنفع المحاولات والكتابات والخطابات بنصيحة الحكام والساسة، حينئذ لا بد للغضب الشعبي من أن يخرج قواماً إلى دوائر هؤلاء ليقتض مضاجعهم ويتصدى للدوائر والحكومات التي اتت بهم حكماً غير جديرين بالثقة، وذلك باستخدام الشعار الناشر وكشف المستور ونشر الفضايح في تبئين اللون الأسود من الأبيض. فلا لون رماديا اصبح مقبولاً بعد انتفاضة الشعب الأخيرة في 8 تموز المنصرم، والتي لا ينبغي أن تتوقف أو تتعطل أو تتراجع تحت أية ظروف أو

الحاسب بوزارة الدفاع التي كان يرأسها نوري السعيد آنذاك يطلب الأخير شراء قاموس انكليزي-عربي بخمسة دنانير، لكونه طلباً شخصياً ولا يوجد تخصصات، فما كان منه إلا أن ينصاع للمحاسِب ويشترى القاموس من جيبه الخاص. وغيرها من الحكايات الطريفة من هذا القبيل التي تخص هذه الشخصية الوطنية أو غيرها من الشخصيات التي حكمت العراق في العهد الجمهوري. ومثله عبد الرحمن عارف، الذي تولى الرئاسة وهو غير راغب فيها. فقد كان عارف تظلمفيد، ولم تخلو اباديه بمال الناس ولا نزيها، مسالماً، بسيطاً، ولم مهماته الرسمية لحضور اجتماعات الجمعية العمومية للأمم المتحدة في دورتها السنوية المعتادة في نيويورك، أن خطة السفر كانت تقضي بمغادرة بغداد الى بيروت، ومنها الى نيويورك والعودة بخط السير ذاته. لكنه اضطر في خط العودة للممرور بدمشق، ما الزمه باستئجار سيارة أجرة في بيروت للذهاب الى دمشق. وحين عودته وتقدم قسائم مخصصات السفر، لاحظ اشارة باستقطاع مبلغ عشرة دنانير من مصاريف السفر، ولدى استيضاحه من المحاسب عن ماهية ذلك الاستقطاع، علم أن هذا الإجراء جاء وفقاً لبيانات الإيفاء التي لا تطرق إلى هذه السفرة. فما كان من المرجوم الخاص. هكذا كانت الخبرة الوطنية والشعور بالمسؤولية والحرص الشخصي على المال العام وفرة البلاد في صفوف موظفي الدولة، كباراً وصغاراً. وهكذا عرفت البلاد جل قادتها وحكامها وساستها السابقين الذين عرف عنهم تقدسيهم للمال العام وعدم ترك أملاك مغادرتهم مناصبهم أو بعد موتهم. فتلك كانت أخلاق الملاحظات العديدة عن طبيعة

سياسته، حازماً حكيماً في قراراته، وإنساناً طيباً عادياً في سلوكه اليومي بالرغم من عصبية مزاجه وعموضه اللغز وطريفة إدارته للحكم بتوليهِ رئاسة الوزارة لأربعة عشر مرة في تاريخ العراق القديم في العهد الملكي حتى الإطاحة به ظلماً وجوراً في تموز 1958. وحتى في حياته العادية، لم يبتعد عن مواطنه وحبه لكل ما هو بغدادي وعراقي، وعيشه من دون تكلف ولا محاذير أمنية في تنقلاته الخاصة أو في زيارته لأصدقائه أو بتسوقه بالقرب من موقع عمله حين كان يشاهد وهو ينتقي فاكهته بنفسه من بائع قرب تمثال الرصافي حين خُرجه من مكتبه في القشلة من دون حمايات ولا مصفحات ولا طوابير المظلات التي تزعم الشارع. كما يحكى عنه شهية الخدافية بتناول ثريد البامبا بيده من دون تكلف واستمتاعه بالمقامات العراقية وحرصه على الاستفادة من أي فلس زائد لصالح الشعب. وحين كان يتجاوز الحدود في بعض صرفياته من دون قصد، كانت عيون الموظفين ترصد وتعرض عليه، ليأتي باعتذار مؤتب عما فعله. هكذا كان السياسي الحريص على المال العام وعلى مصلحة الشعب والبلاد. وظل الباشا نوري في قلوب البغداديين قريبا منهم، إلا الفئة الضالة التي لم يرق لها اتسامه بهذه الصفات الكارزمية وهذه الوطنية المميزة والقدرة الكبيرة في السياسة وفي المناورة وفي الإقناع، وصولاً لبناء البلاد على أسس حضارية. ولعل من بين أهم منجزاته الإعمارية في عهده، بناء صروح وتشبيد عدة سدود وجسور ومشاريع خدمية ما تزال قائمة. رباط الحديث، عقد مقارنة بين ساسة وحكام الأمم من نظرأنهم ما بعد عهد الملكية، ولأسبما ما بعد الغزو في 2003.فقد شهدت هذه الفترة تراجعاً في الحريات وزيادة في القسوة والبطش وانقلابات وانتفاضات لإسياب حزبية وقومية وعرقية وعشائرية ومناطقية، ولم يهدأ البلد إلا لفترة قليلة نسبياً خلال حقبة السبعينات حيث شهد نوعاً من الرفاهة والبناء والتطور

إياه على حقوقهم وطموحاتهم. أما الذين يزرعون الطيبة ويسمون البسمة ويعيون الضعيف ويقفون مع المحتاج ويعرفون العمل والسلوك وفق مخافة الله ولائحة حقوق الإنسان، فأولئك هم الأغنياء أصحاب الله وعباده الساهرون. وهؤلاء لا يحرصون سوى الرضا من الله وخليقته ومحبة البشر وعباء الأبرار لهم والأمثاليهم. تعاقبت على العراق منذ نشأته حكومات بلون الدين الواحد بمختلف مذاهبه، وكانت الوطنية السمة البارزة لمعظم هذه الحكومات المشكّلة في بدايات حكمها حتى قدوم ساعة الثورة السوداء من زمرة اتسمت بالنرجسية والطغيان العسكري على الحكم الملكي المسالم. والكل يشهد على الخطيئة الكبيرة التي

على قدر العطاء تأتي الثمار، و ما يزرعه الإنسان إياه يحصد. حكّم إنسانية لا يمكن للبشر العادي والعاقل تجاهلها أو نكضسها. وهذه إن هي إلا شذرات من خبرة الحياة. وهي بالتالي معيار للعمل والحركة والتعامل اليومي مع النفس ومع الغير الآخر، ليس في الحياة العادية فحسب، بل في مختلف قطاعاتها وأنشطتها وظروفها وأزمانها. والسياسة والمفاهيم المختبرية في الحياة اليومية. فالحاكم الجائر لا يحصد في النهاية سوى نتائج أفعاله الشائنة، والملك الظالم لا يتلقى من مملوكيه سوى اللعنة في الدنيا والآخرة، والسياسي الفاسد لا يتلقى ممن أوكلوه الثقة سوى السب والاحتقار والندم على توليتهم

ما تزال العملية السياسية عرجاء صحراء لحين قدوم الفارس الوطني الذي ينتظره الشعب المغلوب على أمره. أين أنت يا فارس الشعب وكاريزما الشهامة والبطولة والإنسانية والحكمة والبناء والعقل المتنور معاً؟ فنحن منذ خمسة عشر عاماً نعيش في دوامة من إخفاقات وتراجعات متلاحقة في كل شيء، في السياسة والعلم والبناء والخدمات والتربية والأخلاق حتى وصلنا في نهايات التصنيف العالمي في كل هذه وغيرها. في ضوء ما نرى ونشهد ونختبر، ليس من حقنا القول : شتان ما بين حكام الأمم وزعامات مافيات نهب المال العام، اليوم؟ يحكى عن نوري باشا أيضاً، أنه كان من النزاهة بحيث كان في إحدى المرات موضع محاسبة من الجهات الرقابية بوزارة المالية على عهده لتجاوزه بصرف "مئة فلس" خارج الضوابط والتعليمات في إحدى سفراته الرسمية.

هتلر.. ومن هو يونس بحري؟

حلفها مع اليابان وغدا الحلف يعرف بمحور روما برلين طوكيو وفي عام 1937أحدث ما عجل في التعاون المخمر بين الحلفاء وكان في هذا الوقت هتلر لايزال متمسكا بكتابه (كفاحي) اما موضوعنا فيما يخص المرجوم يونس بحري فقد اقتبته في بدايته عام 1970 بعد صدور قانون نقابة الصحفيين حيث اخذ براجع للحصول على تقاعد وجرى حوار مع السيد يونس بحري منها انه شارك في انتفاضة 1941 وهرب بعد ذلك لم يتخذ اي اجراء ضد يونس بحري في مجلة النهضة الكويتية انه تزوج 42 امراه ايفا براون فقال كنا نشاهدها في حفلاته وكان الالاتون العراقيون يتنافسون على ان يكونوا في المقدمة عند الالتقاء بهتلر بين محمد امين الحسيني ورشيد الكيلاني وغيرهم من القادة ويعرف عنه انه له ارتباطات بالخطابات العراقية الاسلامية لتشجيعهم على الحج واخذ يتجول في البلاد الاسلامية لهذا الغرض وعند السوال منه عن اخرج موقف

وكان قد اعد خطة سرية للاطاحة بهتلر وكان هلدلين وبعض رؤسيه في الاركان العامة على قناعة تامة بان بريطانيا وفرنسا ستشان الحرب على المانيا ان من الامور التي على الباحث ان يبحث بها ان المانيا خلال قرن واحد شنت حربين العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية وما سبب قدرة المانيا في مطلع القرن العشرين التي لها هذه القوة الا لان لها قادة عظماء مثل (هندنبرغ) و(لودنورف) و (هوتبير) و(هوفمان) و (شيفر) و (روميل) وغيرهم من القادة ويبدو ان التفوق القتالي الالمانى يتميز دوما"

سيغر الذي كان برتبة رائد الى برلين وضم الي الاركان العامة وبعد ذلك اصبح من قادة العمليات في الجيش الالمانى وحظي باحترام اركان الجيش ولقد قاتل في عام 1940قائد للفوج خيالة الميكانيكى وقام بالتسابق مع الجنرال (ارفين رومل) قائد فرقة البانزر السابعة وبعد عاصم من الخدمة كضابط ارتبط ورفي سنكر الي رتبة لواء وارسل اواخر عام 1942 الى ستالين كراد ان الامور التي شجعت هتلر بروحه الدوناي هي معااهدة فرساي التي سمحت بدخول القوات الالمانية الي الراين واعتبر ذلك عملا عدوانيا من قبل الحلفاء خاصة بريطانيا وفرنسا وقيام ايطاليا باحتلال اثيوبيا عام 1936واعتبر هتلر هذه العملية فرصة سانحة فامر الجيش بالسيطرة على الراين رغم اعراض قسم من القادة على ذلك ولما دخلت القوات الالمانية في 1936/3/7 احتجت بريطانيا وفرنسا وضعت في مواجهة الحدود الالمانية حيث ان المانيا استطاعت ان تحظى بقاعدة عسكرية دون اطلاق رصاصه واحدة وهي القاعدة التي وجدت منها فرنسا وكان هتلر يرى ان ايطاليا الفاشية الحليفة المحتمل ضمن خطه الهادفة الي السيطرة على اوربا وكانت لموسليني اطامع في منطقة الدانوب تتعارض مه خطة هتلر فاذن كان رايه بان اي اتحاد يجمع بين المانيا وفرنسا يشكل تهديدا على امن ايطاليا ويادرت المانيا بتوسيع

القوة شبه العسكرية قوات العاصفة التي كان هتلر قد شكلها عام 1921اوتبحث له فرصه تطوير هذه القوات وتحويلها الى قوة منضبطة فعالة تخدم اهداف الحزب السياسية وكان رومم يتوقع صعود هتلر عند السلطة وكان هدفه دمج قوات العاصفة بالجيش بحيث يصبح رومم قائدا عاما للجيش وكان هتلر في هذا الوقت يعد نفسه للوصول الي سدة الحكم بالوسائل المشروعة وفي انتخابات 1932/3/13 حصل هندن برك على اعلميه من الاصوات لسنه فشلت في الحصول على الغلبيه بموجب الدستور في الجولة الثانية من الانتخابات حصل 19مليون صوت وحصل هتلر على 13 مليون صوت ونال مرشح الحزب الشيوعي على 3ملاين صوت وكان شلايخر قد تمكن من اقناع هندن برك بالفاء امر حل قوات العاصفة وفصائل الدفاع مما قى كانه هتلر وقد ساعد ذلك باحتلال النازين 230 مقعدا من اصل 608 مقاعد واصام هذا الصراع السياسي والخروج من المارق قام شلايخر باقناع هندن برك بعرض الاستثنائية على هتلر مع شروط لايمكن يقبلها الزعيم النازي وبعد مرور يومين عرضت على هتلر ان يتولى المستشارة في 27/2/1933 اتصالاتها مع بريطانيا وفرنسا وبعد ان تسلم مقاليد الحكم واصبح اقائد بيك رئيس العمليات العام وهالدر رئيس الاركان العامة الذي كان يخطط لاحتلال بولونيا وكان متفقا مع بيك على خطورة نشوء حرب بين المانيا والدول الغربية وكان

متحركا سريع التبدل مثل هتلر كيف يمكن معرفة رجل خصوصا اذا كان رجل دولة قد اعتاد على ارتداء هذه فضاضة وعلى ممارسة التنكر وتضخيم الذات ان معرفة رجل كهتلر مسألة سهلة لانه تحدث عن نفسه بكثرة وكان حديثه عنها احدى خصائص دعابته فكثيرا ما تتناوله دعاباته وتحدث عنه لتطرح حياته علنا امام الاخرين وتمزج هذه الدعابة بين حياته الشخصية وحياته العامة انه يعيش على المسرح ان هتلر يتمتع بثقافة محدوبة وبأشسه جدا وقد طرا على حساسياته منذ الاصل انحرافات غريبة انه حساس ولكن حساس الى حد كبير انه مهتز ومتذبذب بصورة دائمة وانه غير متقف وله شخصية عنيدة ومزنة وانه ليس حساسا بالبط انه يتقصد ويعيش كل عمل من اعماله ويتفاعل مع اقواله وافعاله ومن دروسه الاولى لتحقيوق غاياته بعد فشل انقلاب ميونخ هو ان العنف على اهميته اسلوب غير مجد لانتراع السلوب الوطنية وزعم على ان يصبح حاكما على المانيا بالطرق الشرعية تاحشيا لاحتمال وقوع مواجهة مع الجيش وتراوحت قوة الفانزة السياسية بين الصعود والهبوط وفي نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات شهدت المانيا ازدهارا وتحسنا في علاقتها مع بريطانيا وفرنسا بعد التساهل على دفع التعويضات وكات اول الذين اتصل بهم (شلايخر) النازي ارنست رومم الذي كان نقيباً في المشاة ثم انتقل الى الفيلق الحر وبعد ان اصبح صديقا مقربا من هتلر جعل على راس

محمود الفلاحي

www.azzaman.com